لم يكن الشعر عرضيًا في حياة الإنسان العربي ، بل يعد من أساسيات نسيج مجتمعه ، ولم يكن مقتصرًا على ممارسة فنّية من أجل المتعة أو اللذة الجمالية فحسب ، بل تخطى هذا الإطار المحدود نحو مفاهيم ربما تكون أكثر أهمية ، منها : إنّ الشاعر لم يكن يعبر بالقصيدة عن أغراض شخصية محددة فحسب ، تنطلق من خوالجه النفسية ، بل كان كذلك لسان حال مذهبه ، وعائلته ، وعشيرته ، فكان المدافع عن شرف أصلها والمُفاخر بمحامدها.

إنّ الشعر من الفنون التي حاول الشاعر أن يُعبّر فيها عما يجول في خاطره ، وما يدور في مشاعره وأحاسيسه ، وقد سار جنبًا إلى جنب مع الفنون الأخر، من رسم ، ونحت ، وموسيقى ، ورقص ، ولم تكن قضية (الشعر) من اختصاص فئة دون أخرى ، ولم تكن وليدة العهد ، وإنّما يُعد فنًا عامًا ، تهافتت عليه الأمم ، ومنها العرب ؛ لأنّهم يعدونه ديوانهم ، والمعبر عن هواجسهم ، والمتنّفس لهموهم ، والمكمّل لأفراحهم ، فأدلى كل بدلوه ، وكانت لهم طرائق مختلفة في التعبير.

إنّ الثقافات مهما تباعدت وتباينت لا بد من وجود خيط رابط بينها ، وإن كان رفيعًا ومن ثم تشترك في العموميات على الأقل وإن اختلفت في التفاصيل والخصائص .

حاول الباحث تسليط الضوء على مدة زمنية محددة ، تمثلت بالعصر العباسي الثاني، الذي حدده بعض الأدباء بين (٢٣٢- ٣٣٤هـ) ، وهذا الرأي قال به كل من : جرجي

زيدان[١] ، وأحمد حسن الزيّات[٢] ، وشوقي ضيف[٣] ، وحنا الفاخوري[٤] ، وهو ما قصده الباحث في هذه الدراسة.

نظراً للأهمية البالغة التي يحظى بها شعراء هذا العصر، آليت في هذا الجهد المتواضع أنْ أسلط الضوء على فئة معينة من شعرائه ، فكانت دراستي بعنوان (التوظيف الثقافي في شعر شعراء الشيعة في العصر العباسي الثاني) ، لأسباب متعددة ، لعل من أهمها عدم وجود دراسة أكاديمية بحثت هذا الموضوع بشكل كامل ، فضلًا عن غض النظر عن قسم كبير من أشعار هؤلاء الشعراء لأسباب عدة ، لعل في مقدمتها موقف هؤلاء الشعراء المعارض للسلطات العباسية الحاكمة ، وتتابع الأنظمة السياسية المؤيدة لتلك السلطة ، وتقلب الأمزجة لبعض الشعراء ، مما حدا بالباحثين إلى العزوف عن دراستهم ، أو دراسة جانب وإهمال جوانب أخرى .

فجاءت هذه الدراسة لتكمل ما تناوله الباحثون الفضلاء ، من دراسة التوظيف ، وإحاطتهم بالأثر الثقافي وأهميته في الشعر العربي ، ومن الدراسات السابقة التي اقتربت من هذه الدراسة ، وأنارت البحث ، ومهدت الطريق للباحث :

١. أثر التراث الجاهلي في الشعر الأموي : حسين عبد حسين ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧.

٢. المرجعيات الثقافية الموروثة في الشعر الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين ، حسين مجيد الحصونة ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٨.

٣. الأثر الثقافي في شعر العصر العباسي الأول ، مهند عباس العضاض ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠١٣.

٤. المنابع الثقافية للشعر العربي قبل الإسلام ، مزاحم علي ، ٢٠٠٦.
٥ . أثر ثقافة ابن الرومي في شعره ، خليل كاظم غيلان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠١١ ، وغيرها .

وقد استندت الدراسة في منهجها إلى عرض النصوص الشعرية ودراستها وتحليلها عبر الكشف عن المضامين الثقافية التي وظّفها هؤلاء الشعراء في نصوص شعرية مختلفة بغية الوصول إلى أهداف معينة يرومها الشاعر.

ونظرًا لكون الدراسة وصفية تحليلية ، وتتعامل مع شعراء على مدار قرن من الزمن، فإنّ ذلك شجّع الباحث على التنويع في المصادر والمراجع ؛ ليتمكن من دراسة الموضوع على الوجه الذي يستحقه ، فكانت المصادر التي عدت إليها مصادر في التفسير، والحديث ، مثل بحار الأنوار ، وتفسير الميزان ، والإتقان في علوم القرآن ، ومصادر في الأدب والنقد واللغة ، مثل خزانة الأدب ، و تأريخ الأدب العربي ، وعيار الشعر ، وجمهرة اللغة ، ومصادر في التأريخ ، مثل الكامل في التاريخ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، وغيرها ، فضلًا عن كتب التراجم ودواوين الشعراء.

كما واجهت الباحث صعوبات عدة لعل من أبرزها :

١. عدم توفر بعض دواوين الشعراء ؛ لانتمائهم إلى مذهب يعارض السلطات الحاكمة بمختلف العصور ، الأمر الذي أخذ وقتًا طويلًا ، وجهدًا مضاعفًا.

٢. صعوبة الوصول إلى بعض المصادر نتيجة الظرف الطارئ الذي مر به البلد ، وإغلاق المكتبات ، ودور العلم ، وصعوبة التنقل بين المحافظات.

وقد جعل الباحث هذه الدراسة في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول أتبعها بالخاتمة ، وذكر نبذة مختصرة عن حياة الشعراء الذين ورد ذكرهم ، وجاء هذا التقسيم بحسب الكم التوظيفي الذي استعمله الشعراء ، واستخرجه الباحث .

تناول الفصل الأول التوظيف الثقافي الديني ، وقد شمل أربعة مباحث : المبحث الأول : التوظيف القرآني ، الذي قُسِّم على الاقتباس القرآني النصي والاقتباس القرآني غير النصي ، وقد ضم الاقتباس التحويري ، والاقتباس الإشاري .

أمّا المبحث الثاني فقد درس توظيف القص القرآنية ، فيما درس المبحث الثالث : توظيف الحديث النبوي ، والمبحث الرابع : اختص بدراسة توظيف الشخصيات الدينية.

أمّا الفصل الثاني ، فكان لدراسة التوظيف الثقافي الأدبي ، الذي قسم على أربعة مباحث : في المبحث الأول درس الباحث توظيف الأمثال والحكم ، وفي المبحث الثاني درس توظيف الأساطير ، أمّا المبحث الثالث فكان لدراسة التناص والتضمين ، فيما درس المبحث الرابع توظيف الشخصيات الأدبية ، ولاسيما الشعراء.

ودرس الفصل الثالث : التوظيف التأريخي ، الذي قسم أيضا على مباحث عدة : تناول المبحث الأول : الأحداث التأريخية ، وأيام العرب ومآثرهم وحروبهم ، وفي المبحث الثاني: درس توظيف القبائل والأنساب ، أمّا المبحث الثالث فاختص بدراسة توظيف الأماكن التأريخية ، فيما درس المبحث الرابع : توظيف الشخصيات التأريخية.

حينما يضع مؤلف كتابًا ، على شيء من البسط والسعة ، فلا بد أن تتواجد فيه مآخذ أصيلة ، أو غير أصيلة ، فليس من المعقول أن يكون المؤلف عالمًا بكل شيء ، فهناك أشياء تغيب عن الدارس إمّا جهلًا وإمّا غفلة ، وقد ينشئ المؤلف جملة ، ثم يرى وهو يصحح صفحات الكتاب أنّ المعنى يمكن أنْ يكون أوضح لو أنّ الجملة سيقت على نهج آخر ، وقد يتاح للمؤلف أنْ يبدل إنشاءه ، أو أن يزيد فيه ، وكل ذلك من أجل الوصول إلى ما ترضى عنه النفس ، ويقنع القارئ تمام الإقناع ؛ فمستويات القراء تختلف ، باختلاف ثقافتهم ، ومعلوماتهم ، واستيلاء النقص والقصور عند الإنسان شيء مؤكد ، وهذا ما وجدته مصداقًا عند كتابتي لهذا البحث ، ولكنها تبقى محاولة ، وسعي من أجل الوصول إلى هدف محدد ، ولعل هذه الدراسة تكون محفزًا لمن سيأتي من الباحثين في البحث عند هؤلاء الشعراء وغيرهم في هذه المدة الزمنية.

ختامًا ، أسال الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل ، خالصًا لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ، والأئمة (عليهم السلام) ، وأن ينتفع به كل من وجّه نظره صوب هؤلاء الشعراء .